

فوض أمورك إلى الله تعالى (خطبة)





د. صغير بن محمد الصغير

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 7/3/2019 ميلادي - 29/6/1440 هجري

الزيارات: 48076

فوِّض أمورك إلى الله تعالى

إن الحمد لله:

أيها الإخوة: من أجمل الآيات التي تبعث على النفس السكينةَ والطمأنينةَ قولهُ تعالى: ﴿ **...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ **[الطلاق: 2، 3]**.

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ أي: كافيه الأمرَ الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له؛ فلهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ أي: لا بد من نفوذ قضائه وقدره، ولكن ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ أي: وقتًا ومقدارًا، لا يتعداه ولا يقصر عنه[1].

لقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من الهم والحزن، فالحزن على الأمور الماضية التي لا يمكن ردها ولا استدراكها، والهم الذي يحدث بسبب الخوف من المستقبل، فيكون العبد ابن يومه، يجمع جِدَّه واجتهاده في إصلاح يومه ووقته الحاضر، فإن جمع القلب على ذلك يُوجب تكميل الأعمال، ويتسلى به العبد عن الهم والحزن، والنبي صلى الله عليه وسلم إذا دعا بدعاء أو أرشد أمته إلي دعاء، فهو يحث عليه مع الاستعانة بالله والتوكل عليه والطمع في فضله، فالدعاء مقارنٌ للعمل، فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل ربه نجاح مقصده، ويستعينه على ذلك [2]، كما قال صلى الله عليه وسلم: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لَوْ تفتحُ عملَ الشيطان"[3].

قال بعض السَّلَف: "مَن سرَّه أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله، ومَن توكل على الله واعتمد عليه وأحسن الصلة بالله، حفظه الله ورعاه، فإن لم يكنْ في الدنيا، كان في الآخرة، والآخرة خيرٌ وأبقى".

حقًّا، التوكُّل عبادة من العبادات القلبية المحْضة العظيمة، والقلب فيها منقطع عن الأسباب، أما الجوارح، فتأخذ بالأسباب، وهنا ينقطع أمل الإنسان العادي إذا انقطعت الأسباب، ويزيد أمل المؤمن مع انقطاعها.

ومن العلماء من يفسِّر التوكل بالرضا، فيقول: هو الرِّضا بالمقدور، وهو يعني إظهار العجْز لله، والاعتماد عليه مع الأخْذ بالأسباب في الأرض.

والمتوكِّل على الله حقًّا يعلم أنَّ الله كافلُ رزقِهِ وجميعِ شؤون حياته، فيركن له وحده سبحانه وتعالى ولا يتوكل على سِواه، ويثق أنه لا معطي ولا مانع، ولا ضار ولا نافع، ولا قابِض ولا باسط، ولا رافع ولا خافض، ولا مُعز ولا مذل إلا هو - تبارك وتعالى -[4].

نعم التوكل بحق هو: صدق الاعتماد على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وكِلَةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه[5].

في الحديث مما علمه النبي صلى الله عليه وسلم للحسن رضي الله عنه أن يقول في قنوته: وتولني فيمن توليت. رواه ابن ماجه.[6] فما ظنُّك أيها المبارك برجل تولاه الله تعالى.. تولني فيمن توليت.. إذا تولاك الله فأبشر والله بتوفيق الدنيا والآخرة..

لتعلم أن مرجع الكل إلى الله، وتقدير الكُلّ فيها لله ولتوطِّن نفسك على فرش التوكل.. ﴿ **فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ **[هود: 123]**.

وإذا علمت أن الله هو الواحد على الحقيقة، وهو المالك لهذا الكون فلا يكن اتكالك إلا عليه ﴿ **قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ** ﴾ **[الرعد: 30]**.

وإذا كانت الهداية والسعادة من الله فلماذا لا تستقبلها بالشكر والتوكل؟ ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: 12].

وإذا داهمك الخوف، وخشيت بأس أعداء الله والشيطان والغدّار، فلا تلجأ إلاّ إلى باب الله وعليه توّكل ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ **[النحل: 99][7].**

ومن الحقائق التي نؤمن بها أنا وأنت أيها المبارك أنّك لن تجد شخصاً سابقاً ولا لاحقاً فوّض أموره لله تعالى وتوكل عليه ثم ندم بعد ذلك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله..

الخطبة الثانية

الحمد لله..

أيها الإخوة: والتوكل على الله وتفويض الأمر إليه لا يعني تعطيل الأسباب، بل لا يكون المرء متوكلاً على الحقيقة إلا بتعاطي الأسباب، ولهذا شرع النكاح لحصول الولد، ولو قال أحد من الناس: أنا لا أتزوج وأنتظر ولداً من دون زواج، لعُدَّ من المجانين، إذ ليس هذا من أمر العقلاء، ولا يمكن لمسلم عاقل أن يجلس في البيت أو في المسجد يتحرى الصدقات ويتحرَّى الأرزاق تأتيه، بل يجب عليه أن يسعى ويعمل ويجتهد في طلب الرزق الحلال.

ومريم عليها السلام لم تدع الأسباب بل سعت لبذلها، فقد قال الله لها: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ **[مريم: 25]**، هزّت النخلة وتعاطت الأسباب حتى وقع الرطب، وإذا ساق الله لبعض أوليائه من أهل الإيمان شيئاً من الكرامات فهذا من فضله سبحانه وتعالى، لكن لا يدل على تعطيل الأسباب، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "احرص على ما ينفعك واستعن ولا تعجز"[8]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5][9].

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد.

[1] تفسير السعدي: ص870.

[2] من فتاوى موقع: الإسلام سؤال وجواب.

[3] رواه مسلم 4 /2052 برقم (2664).

[4] مقال إكرام جلال، على الألوكة: (حقيقة التوكل على الله (1 /2)

[5] جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص409.

[6] سنن ابن ماجه وصححه الألباني 1 /372 برقم 1178.

[7] كلمات في طريق التفاؤل والتوكل، مقال منشور على الألوكة.

[8] رواه مسلم 4 /2052 برقم (2664).

[9] من فتاوى العلامة ابن باز رحمه الله منشورة على موقعه (بتصرف):

https://binbaz.org.sa/old/29457
